الأمم المتحدة

A/HRC/25/49

الجمعية العامة

Distr.: General
23 January 2014
Arabic
Original: English

مجلس حقوق الإنسان
الدورة الخامسة والعشرون
البند ٣ من جدول الأعمال
تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان، المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بما في ذلك الحق في التنمية

تقرير المقررة الخاصة في مجال الحقوق الثقافية، فريدة شهيد

عمليات تخليد الذكرى*

موجز

تقدم المقررة الخاصة في مجال الحقوق الثقافية، فريدة شهيد، هذا التقرير عملاً بقرار مجلس حقوق الإنسان ٦/١٩.

وهي تتناول، في هذا التقرير، عمليات تخليد أحداث الماضي في المجتمعات الخارجة من حالات نزاع والمجتمعات المنقسمة، مع التركيز بشكل خاص على النصب التذكارية ومتاحف التاريخ/تخليد الذكرى.

ويتزايد اتجاه الدول الخارجة من حالات نزاعات أو من فترات قمع نحو تطبيق سياسات فعالة لتخليد الذكرى باعتبارها وسيلة لضمان الاعتراف بالضحايا، والتعويض عن الانتهاكات الجماعية أو الجسيمة لحقوق الإنسان وضمان عدم تكرارها. وتشدد المقررة الخاصة على أهمية الإجراءات المتخذة في المجال الثقافي لتحقيق الأهداف المجتمعية العامة المتمثلة في العدالة الاجتماعية، وتشير في الوقت نفسه إلى أن النصب التذكارية والمتاحف، هي الوسيلة التي تتشكل من خلالها مساحات ثقافية وتعبيرية كاملة، تصور وتصقل في آن واحد، على نحو سلبي أو إيجابي، التفاعلات الاجتماعية وإدراك الناس للهويات – هوياتهم الذاتية وهويات الآخرين.

* يُعمَّم مرفق هذا التقرير باللغة التي قُدم بها فقط.

(A) GE.14-10499 270214 280214

1410499

الرجاء إعادة الاستعمال

وتقدم المقررة الخاصة، في سياق التصدي لبعض التحديات الصعبة التي تعترض تخليد أحداث مضت، عدداً من التوصيات المستندة إلى مبدأ أن تخليد الذكرى ينبغي أن يُفهم على أنه عملية تتيح للمتضررين من انتهاكات حقوق الإنسان الحيز اللازم لسرد رواياتهم. وينبغي أن تحفز ممارسات تخليد الذكرى وتعزز مشاركة المجتمع المدني والتفكير النقدي والنقاش بشأن تمثيل تحديات الماضي، وبقدر مماثل التحديات المعاصرة المتمثلة في الإقصاء والعنف.

المحتويات

		الفقـــرات	الصفحة
أولاً –	مقدمة	١-٤	٤
ثانياً –	عمليات تخليد الذكرى: الأهداف والتحديات	٥-٢٤	٥
ألف–	تطور التوقعات المتعلقة بتخليد الذكرى	٨-١٤	٦
باء –	التقييم النقدي لسياسات وعمليات تخليد الذكرى	١٥-١٧	٧
جيم–	المخططات السياسية في معترك الذاكرة	١٨-٢٤	٨
ثالثاً –	إطار معياري: ظهور معايير لتخليد الذكرى	٢٥-٤٨	١٠
ألف–	مبادئ جوانيه – أورنتليتشر وفان بوفين – بسيوني	٢٧-٣٢	١٠
باء –	المؤتمرات الدبلوماسية	٣٣-٣٥	١٢
جيم–	قرارات محكمة البلدان الأمريكية لحقوق الإنسان	٣٦-٣٨	١٢
دال –	توصيات لجان تقصي الحقائق والمصالحة	٣٩-٤٤	١٣
هاء –	منظور الحقوق الثقافية	٤٥-٤٨	١٤
رابعاً –	ممارسات تخليد الذكرى: التحديات المحددة	٤٩-٩٧	١٥
ألف–	الضحايا والجناة والأبطال	٥٠-٥٦	١٥
باء –	مسألة التوقيت	٥٧-٥٨	١٧
جيم–	النصب التذكارية "غير القانونية"	٥٩-٦٠	١٨
دال –	النصب التذكارية والمواقع المتعلقة بالأنظمة القمعية البائدة	٦١-٦٣	١٨
هاء –	تشجيع التفكير النقدي والمشاركة المدنية	٦٤-٦٥	١٩
واو –	دور الفنانين	٦٦-٧٣	١٩
زاي–	متاحف التاريخ/المتاحف التذكارية	٧٤-٧٩	٢٢
حاء–	إدارة الرفات	٨٠-٨٢	٢٣
طاء –	تذكّر تجارة الرقيق	٨٣-٨٥	٢٣
ياء –	تذكر تاريخ الشعوب الأصلية	٨٦-٨٩	٢٤
كاف–	دور العناصر الفاعلة الخارجية	٩٠-٩٢	٢٥
لام –	جمهور المبادرات التذكارية	٩٣-٩٧	٢٥
خامساً –	الاستنتاجات والتوصيات	٩٨-١٠٩	٢٧

المرفق

List of participants in the expert meeting (Geneva, 7 and 8 October 2013) ٣١

أولاً- مقدمة

١- هذا التقرير هو الدراسة الثانية من دراستين متتاليتين للمقررة الخاصة بشأن الروايات التاريخية والتذكارية في المجتمعات المنقسمة والمجتمعات الخارجة من حالات النزاع. وقُدم التقرير الأول، الذي يتناول مشكلة كتابة التاريخ وتدريسه، مع التركيز بشكل خاص على كتب التاريخ المدرسية، إلى الجمعية العامة في عام ٢٠١٣ (A/68/296). وسعى ذلك التقرير إلى تحديد الظروف التي قد تصبح فيها الروايات التاريخية، التي تروجها الدول في المدارس، من الإشكاليات من منظور حقوق الإنسان. أما هذا التقرير الثاني، فيتناول عمليات تخليد الذكرى، مع تركيز خاص على النصب التذكارية والمتاحف، ويتصدى للعمليات الأوسع نطاقاً التي تضطلع بها جهات فاعلة شتى، حكومية وغير حكومية، لتخليد الذكرى على نحو جماعي.

٢- وتؤدي الحقوق الثقافية دوراً مهماً في استراتيجيات العدالة الانتقالية والمصالحة: "يتوقف نجاح العدالة الجنائية والإصلاحية على إدماجهما في عملية أوسع نطاقاً"، ويشمل ذلك بصفة خاصة الحقوق الثقافية[(١)] التي يمكن أن تساعد في تحول المؤسسات وتحفيز التغيير في كل من المؤسسات الثقافية والآراء الفردية[(٢)]. وقد تأخذ التعويضات الجماعية عن الانتهاكات الواسعة النطاق أو الجسيمة لحقوق الإنسان شكل تدابير قانونية، وأيضاً تدابير غير قانونية. وتُغفل هذه في معظم الأحيان نظراً إلى دخولها مجال الرمزية وإحياء الذكرى. وتترتب على طرائق تخليد الروايات عواقب تتجاوز بكثير نطاق التعويضات. إذ تتشكل مساحات ثقافية وتعبيرية كاملة من خلال النصب التذكارية والمتاحف، فتصور، وتصقل أيضاً، بطريقة سلبية أو إيجابية، التفاعلات الاجتماعية والهويات الذاتية للناس، وكذلك رؤيتهم للفئات الاجتماعية الأخرى. ويكون الماضي أحياناً عامل تحديد لهوية الناس وليس عامل تنوير لهم.

٣- ويسعى هذا التقرير إلى توضيح مسؤوليات الدول والجهات المؤثرة الأخرى في مجال تخليد الذكرى، نظراً إلى أن تخليد الذكرى، مثله مثل التاريخ، ليس بمنأى عن التأثير والجدل السياسيين. ويجعل الاتجاه المتصاعد اليوم لتخليد الذكرى مناقشة هذه المسائل أمراً عاجلاً وضرورياً.

٤- وفي عام ٢٠١٣، عقدت المقررة الخاصة اجتماعين بشأن هذه المسائل، أولهما في الفترة من ١ إلى ٣ تموز/يوليه ٢٠١٣ في ديري/لندنديري، بالمملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وأيرلندا الشمالية (انظر الوثيقة A/68/296، الفقرة ٨ والمرفق). والثاني، وهو اجتماع خبراء، في يومي ٧ و٨ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٣ في جنيف، بالتعاون مع الفريق البحثي لمشروع

(١) Pierre Hazan, "Ten years after the birth of the International Criminal Court, the challenges of complementarity", *Politorbis* vol. 54, No. 2 (2012), page 9.

(٢) Pablo de Greiff, "On making the invisible visible: the role of cultural interventions in transitional justice processes", in *Transitional Justice, Culture and Society: Beyond Outreach*, Clara Ramírez-Barat ed. (New York, Social Science Research Council, forthcoming, 2014).

سياسات الذاكرة وممارسات الفنون، التابع لجامعة جنيف للفنون والتصميم. وفي ٥ تمـوز/يوليه ٢٠١٣، عقدت المقررة الخاصة مشاورات مفتوحة في جنيف لإتاحة الفرصة للـدول ومؤسسات حقوق الإنسان والمنظمات غير الحكومية لتقديم آرائها. وتشكر المقررة الخاصـة جميع المشاركين على ما قدموه من إسهامات قيمة.

ثانياً- عمليات تخليد الذكرى: الأهداف والتحديات

٥- استيفاء لأغراض هذا التقرير، تشير المقررة الخاصة إلى النصب التذكارية باعتبارهـا تجسيداً مادياً أو عملاً تذكارياً في مكان عام، يتعلق بأحداث محددة بغض النظر عـن زمـن حدوثها (حروب ونزاعات، وانتهاكات واسعة أو جسيمة لحقوق الإنسان)، أو للأشخاص المشاركين فيها (جنود أو محاربون أو ضحايا أو قادة سياسيون أو ناشطون سياسيون، علـى سبيل المثال)[٣].

٦- وتتنوع طرائق التعبير عن تخليد الذكرى تنوعاً كبيراً. وتشمل النـصب التذكاريـة الرئيسية المواقع الأصلية (مثل معسكرات الاعتقال ومراكز التعذيب والاحتجـاز الـسابقة، ومواقع القتل الجماعي والقبور الجماعية، والآثار التي ترمز للنظم القمعية)؛ والمواقع الرمزيـة (مثل الآثار المشيدة الدائمة أو المؤقتة التي تحمل أسماء الضحايا، والشوارع أو المباني أو الهياكل الأساسية المعاد تسميتها، والنصب التذكارية الافتراضية على شبكة الإنترنـت، ومتـاحف التاريخ/تخليد الذكرى)؛ والأنشطة (مثل الاعتذارات العلنية، وإعـادة الـدفن، والجـولات التعريفية، والعروض الاحتفالية، والمعارض المؤقتة). وبالإضافة إلى ذلك، توجد أشكال متنوعة للتعبير الثقافي تسهم أيضاً في عمليات تخليد الذكرى، وإن كانت تخرج عن نطاق هذا التقرير (مثل الأعمال الفنية، والأفلام، والأفلام الوثائقية، والمؤلفات الأدبية، وعـروض الـصوت والضوء الموجهة إلى السواح، وما إلى ذلك).

٧- ومن ثم، فإن النصب التذكارية تشمل جميع أنواع الأنشطة المصممة خصيصاً لتذكر أخطاء الماضي. ويسمح ذلك بتنوع النُهُج، فالآثار المشيدة لا تتسق في جميع الأحيـان مـع رغبات أو ثقافة المجتمعات المعنية.

(٣) انظـر Louis Bickford, "Memoryworks/memory works", in *Transitional Justice, Culture and Society: Beyond Outreach*, Clara Ramírez-Barat, ed. (New York, Social Science Research Council, forthcoming, 2014).

ألف- تطور التوقعات المتعلقة بتخليد الذكرى

٨- تغير الغرض من إقامة النصب التذكارية تغيراً جذرياً على مر الزمن. ففي الولايات الإغريقية القديمة كانت النصب التذكارية لساحات المعارك تُشيّد عمداً من الخشب لكي تتآكل بفعل عوامل التعرية، مما يتيح فرص المصالحة بين الأعداء السابقين[٤].

٩- وبمرور الزمن، تحول الغرض من النصب التذكارية من منظور تكريم الجنود الذين يقتلون أثناء تأدية الواجب إلى منظور تكريم الضحايا وإلى رؤى جديدة للمصالحة. وبداية من ثمانينات القرن الماضي، ارتبطت عملية إقامة النصب التذكارية بفكرة أن ضمان الاعتراف العلني بالجرائم التي ارتُكبت في الماضي أمر لازم للضحايا، وأساسي لمنع مزيد من العنف، وضروري لإعادة تعريف الوحدة الوطنية. وعادة ما يكون تخليد الذكرى مطلباً للضحايا وللمجتمع ككل[٥]، كما أن الطريق المؤدي إلى المصالحة الوطنية لا يمر فقط عبر التعويضات القانونية، وإنما أيضاً عبر التعويضات الرمزية، مثل النصب التذكارية.

١٠- وقد تشكّل مفهوم التذكار الزجري "عدم التكرار أبداً"، الذي وُلد بعد الحرب العالمية الأولى، في أواخر تسعينات القرن الماضي في إطار نموذج العدالة الانتقالية، الذي تمثل فيه سيادة القانون وتعزيز الثقافات الديمقراطية ضمانات مجتمعية للحيلولة دون وقوع مزيد من المآسي. وبالنظر إلى أن المدنيين يتحملون التبعات الرئيسية للأعمال الوحشية، أصبح تخليد الذكرى ضرورة سياسية واجتماعية - ثقافية ملحَّة في عمليات المصالحة.

١١- وأسهم في زيادة الاتجاه نحو تخليد الذكرى ظهور مفهوم "واجب عدم نسيان"[٦] الجرائم الجماعية في ثمانينات القرن الماضي، ومن هذه الجرائم تصفية اليهود الأوروبيين على يد النازيين وتجارة الرقيق والعنف ضد الشعوب الأصلية. وتؤكد هذا المفهوم شرعية التماس التعويض واستخلاص العبر، ولو بعد قرون من الأحداث الأصلية.

١٢- وورد مفهوم تخليد الذكرى كوسيلة لمكافحة الظلم وتعزيز المصالحة في إعلان ديربان، الصادر عن المؤتمر العالمي لمناهضة العنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب، الذي أكدت فيه الدول أن "تذكر جرائم أو آثام الماضي، أينما ومتى وقعت، وإدانة مآسيه العنصرية إدانة لا لبس فيها، وقول الحقيقة بخصوص التاريخ، هي عناصر أساسية للمصالحة الدولية ولإيجاد مجتمعات تقوم على العدالة والمساواة والتضامن".

---

(٤) Miguel. A. Marin Luna "The evolution and present status of the laws of war", *Recueil des Cours de l'Académie de Droit International*, vol. 92 (1957), p. 652.

(٥) Simon Robins, "Challenging the therapeutic ethic: a victim-centred evaluation of the transitional justice process in Timor-Leste", *International Journal of Transitional Justice*, vol. 6, No. 1 (March 2012), pp. 83–105.

(٦) Sarah Gensburger, Marie-Claire Lavabre, "Entre 'devoir de mémoire' et 'abus de mémoire': la sociologie de la mémoire comme tierce position", in *Histoire, Mémoire et Épistémologie. Autour de Paul Ricœur*, Bertrand Müller, ed. (Lausanne, Switzerland, Éditions Payot, 2004).

١٣- ومن ثم، فإن أهداف عمليات تخليد الذكرى متعددة الأوجه، وبغض النظر عن تنوع النصب التذكارية من حيث الصيغة والشكل، فإن لها أغراضاً خاصة/تأملية وعامة/تثقيفية[٧]. وهذه الأهداف ليست موجهة فقط نحو الماضي (تذكر الأحداث، والاعتراف بالضحايا وتكريمهم، وضمان إمكانية رواية القصص) وإنما أيضاً نحو الحاضر (عمليات تضميد الجراح وإعادة بناء الثقة بين المجتمعات) والمستقبل (منع ارتكاب مزيد من العنف عن طريق التثقيف والتوعية). ومن شأن عمليات تخليد الذكرى أن تعزِّز ثقافة المشاركة الديمقراطية، وذلك بتحفيز النقاش حول تمثيل تحديات الماضي والتحديات الراهنة المتمثلة في الإقصاء والعنف.

١٤- ونظراً إلى تعدد منظمي مشاريع النصب التذكارية، فقد تركّز عمليات تخليد الذكرى على هدف معين أكثر من هدف آخر، مما يؤدي في بعض الحالات إلى إثارة أو زيادة التوترات والشك المتبادل. ومن الممكن أيضاً توخي أهداف أخرى، بقدر ما من الوضوح، مثل بناء الأمة وتشكيل الهويات الوطنية، أو استغلال هذه الأهداف على نحو يثير القلق، كأداة لتأكيد الهيمنة على منطقة معينة، وجمع الناس حول هوية واحدة مؤكدة، وتبرير مخططات سياسية شتى.

باء- التقييم النقدي لسياسات وعمليات تخليد الذكرى

١٥- السؤال الذي يجدر طرحه هو هل النصب التذكارية تحقق أو يمكن أن تحقق أغراضها على النحو المبين في الفقرة ١٣ أعلاه، وإن كان كذلك، ففي أية ظروف؟[٨] وقد أُنشئ في السنوات العشرين الماضية عدد من النصب التذكارية والمتاحف (التاريخية/التذكارية) يزيد على العدد الذي أُنشئ منها في القرنين الماضيين، مما ينم عن الحاجة إلى إجراء تحليل أوسع نطاقاً وأكثر تفصيلاً للمسألة.

١٦- وبينما ترمز عمليات تخليد الذكرى إلى الاعتراف بالضحايا والرغبة في ضمان التعويض عن الانتهاكات الجماعية أو الجسيمة لحقوق الإنسان وعدم تكرارها، من الممكن أن تصل هذه العمليات إلى حد تخليد ذكرى الطغاة. ويحدث ذلك عندما لا تراعي النصب التذكارية، الآخذة في التزايد، الأصوات البديلة أو المسائل ذات الصلة بالمعاناة، وتحصر الناس في ماضيهم وتترك حيزاً محدوداً لتذكر الأحداث الأخرى والعلاقات بين مجموعات الأفراد[٩].

(٧) انظر Bickford, "Memoryworks/memory works".

(٨) المرجع نفسه.

(٩) انظر أيضاً إسهام المجلس الوطني لحقوق الإنسان في المغرب، المشاورات المفتوحة، ٥ تموز/يوليه ٢٠١٣، في الموقع: http://www.ohchr.org/EN/Issues/CulturalRights/Pages/HistoricalMemorialNarratives.aspx.

١٧- وبشكل عام، يمكن اعتبار الاتجاه العالمي نحو زيادة تخليد الذكرى أمراً إيجابياً. ومع ذلك، فإن الإفراط في تخليد الذكرى، لا سيما ذكرى أحداث الماضي غير القابلة للتسوية، قد يضر بالمجتمع بدلاً من مساعدته[١٠]. وتحتاج جميع المجتمعات الخارجة من حالات نزاع والمجتمعات المنقسمة إلى إيجاد توازن دقيق بين النسيان والتذكر. ومن المهم ألاّ تكون عمليات تخليد الذكرى مجرد إحياء لذكرى الأموات بكلمات رنّانة، بينما تتجاهل في الوقت نفسه أسباب وسياق المآسي الماضية وتحجب التحديات الراهنة.

جيم- المخططات السياسية في معترك الذاكرة

١٨- من شأن إحياء ذكرى الأحداث المأساوية، أثناء النزاع أو بعده، بما في ذلك بعد فترة طويلة من حدوثها، باستخدام الفنون العامة وتعبئة الذاكرة الجماعية، أن ينقل رسائل السلام والتقدير والمصالحة والتضامن المجتمعي، وإن كان ينقل أيضاً في حالات كثيرة رسائل تمثيل دور الضحية والتعطش للانتقام والاستشهاد. كما أن التحديات السياسية والتعليمية، بل والجمالية، كبيرة.

١٩- وتتصدى النصب التذكارية لقضايا قد تثير خلافات شديدة. ويجب على الدول والجهات الأخرى المؤثرة أن تحدد الرواية المعينة التي ينبغي ترويجها (محددة/حصرية أو شاملة لروايات متعددة)؛ وفي أية نقطة زمنية (فور وقوع الأحداث أم بعد عدة أجيال) ولأية مدة؛ وأين بالتحديد (موقع أصلي، أم مكان عام يراه الجميع في كل يوم، أم على مسافة أبعد من المركز تتطلب زيارتها قراراً استباقياً)؛ ولأي غرض وعقب أية عملية (من الذي ينبغي أن يُستشار وبشأن أي موضوع على وجه التحديد، ومن الذي يمول المشروع، وما هي حدود الاستقلالية التي ينبغي أن يتمتع بها المصممون). وقد تثير هذه القضايا جدلاً كبيراً في المجتمعات التي شهدت نزاعات دولية أو داخلية؛ والمجتمعات المتحررة من الاستعمار، بما في ذلك المجتمعات التي عانت من الرق؛ والمجتمعات التي تعاني من الانقسامات القائمة على خلفيات إثنية أو قومية أو لغوية، أو على أساس الدين، أو الإيديولوجيات السياسية؛ والمجتمعات التي تُستبعد فيها الشعوب الأصلية أو الأقليات أو فئات أخرى من عمليات تخليد الذكرى.

٢٠- وتتخذ القرارات بشأن هذه المسائل فقط على أساس كل حالة بذاتها. وما يهم، من منظور حقوق الإنسان، هو تهيئة الأوضاع التي تتيح ظهور "حقيقة واسعة النطاق ومتنقلة ومتعددة الطبقات وقائمة على الحوار التفاعلي"[١١]، أي الحوار بشأن أحداث وأعمال مضت مما يمكن المجتمع من تجاوز "الروايات المتباينة تماماً وغير المعترف بها للأحداث"[١٢] من أجل

(١٠) Bickford, "Memoryworks/memory works".

(١١) Albie Sachs, *The Soft Vengeance of a Freedom Fighter*, (Berkeley, California, University of California Press, 2000).

(١٢) المرجع نفسه.

المضي قُدماً وإقامة علاقات ذات طابع سلمي أقوى. ودائماً ما تكون الروايات، سواء التاريخية أم التذكيرية، تعبيراً عن وجهة نظر، ولا يمكن قط أن تكون المجتمعات كتلاً مؤلفة من عنصر واحد. فالقضية المحورية هي كيفية ضمان أن يستمع الناس لقصة الآخرين وأن يتعلموا كيف يدركون إنسانيتهم المشتركة.

٢١- وفي إطار عمليات تخليد الذكرى، قد تستخدم بعض الجهات الفاعلة ساحة معترك الذاكرة لتعزيز مخططاتها السياسية، فتفرض تعاريف للجناة والأبطال، وتنشئ فئات للضحايا. ومن شأن ذلك أن يترك بعض الضحايا في الظل في أحيان كثيرة؛ ويمكن أن يضع تسلسلاً هرمياً للضحايا وأن ينطوي على مخاطر إقامة مسابقة في التضحية، وقد يمنح بعض الجماعات المعاصرة "شيكاً على بياض"[١٣].

٢٢- وقد تقام النصب التذكارية من أجل حشد الجهود ضد أعداء اليوم وأعداء المستقبل، مثل الدعاية القومية التي تتلاعب بالرموز وتحيي مشاعر من الماضي تنطوي على "ذكريات الإذلال التي تثير الرغبة في الانتقام وتُستخدم لتبرير المزيد من الاعتداء القائم على حق تاريخي أو حق موروث عن الأجداد، أياً كان"[١٤]. والأمثلة كثيرة على التلاعب السياسي فيما يتعلق بتخليد الذكرى. وفي مناطق كثيرة، أصبحت الذاكرة ساحة قتال محتدم تتسابق فيها الأطراف المتعارضة على الاستثمار في تخليد الذكرى لتبرير تفوقها الأخلاقي والقانوني والإيديولوجي.

٢٣- وقد تصبح النصب التذكارية أماكن للتفاخر والاحتفاء بالجرائم الماضية من جانب الجماعات الراديكالية. ومن أمثلة ذلك، مواقع دفن مجرمي الحرب، لا سيما عندما لا تُقدم أية إشارة أو شرح أو منظور تاريخي بشأن الجرائم المرتكبة، في شكل لوحة أو من خلال متحف قريب. ويكتسب هذا النوع من المقابر طابعاً سياسياً نتيجة الزيارات التي يقوم بها كبار المسؤولين الحكوميين.

٢٤- ورغم ذلك، توجد مبادرات إيجابية مثل ركوع المستشار فيلي برانت أمام النصب التذكاري لوارسو غيتو في عام ١٩٧٠، وزيارة الرئيس نيلسون مانديلا لنصب فورتريكر في بريتوريا - الذي يعتبر تجسيداً لسياسة الفصل العنصري - في عام ٢٠٠٢. ويمكن لعمليات تخليد الذكرى، من خلال إدماجها في استراتيجية سياسية أوسع نطاقاً، أن تساعد في تحويل الحقائق السياسية، وتنشيط الحوار الاجتماعي اللازم بشأن جرائم أو أحداث الماضي.

(١٣) Tzvetan Todorov, *Les abus de la mémoire*, (Paris, Arléa, 2004) pp. 56 and 57.

(١٤) Emmanuel Kattan, *Penser le devoir de mémoire*, (Paris, Presses Universitaires de France, 2002).

ثالثاً- إطار معياري: ظهور معايير لتخليد الذكرى

٢٥- أخذ الاتجاه المتزايد نحو تخليد الذكرى طابعاً مؤسسياً في الفترة من عام ١٩٩٧ إلى عام ٢٠٠٥، إذ شهدت هذه الفترة مشاركة العديد من الجهات الفاعلة في منتديات مختلفة واتجاه الدول الخارجة من نزاعات أو من فترات قمع نحو اتخاذ سياسات فعالة لتخليد الذكرى، وذلك باستخدام طرائق يتزايد تشابهها باطّراد. ورغم أن النماذج الغربية لتخليد ذكرى ضحايا النازية ليست هي الأكفأ أو الأنسب، فإنها أصبحت نموذجاً أو على الأقل مصدر إلهام سياسي وجمالي لتمثيل مآسي الماضي أو الجرائم الجماعية.

٢٦- وإلى جانب النصب التذكارية الرسمية التي عادة ما تتخذ السلطات العليا قرار إنشائها، توجد مبادرات تنطلق من القاعدة يقودها فنانون أو مجموعات سياسية أو مجتمعات محلية ممن لديهم العزم على الدعوة علناً لإحياء ذكرى ضحايا أغفلتهم أو أنكرتهم سياسات الدولة. مثلاً، أدى هذا الاتجاه، الذي ينطلق من القاعدة إلى القمة، إلى إنشاء التحالف الدولي لمواقع الضمير في عام ١٩٩٩. وتوجد في جميع القارات أعداد لا حصر لها من المبادرات الشعبية ومبادرات المجتمع المدني المتعلقة بإنشاء نصب تذكارية، التي قد تكون مكملة لعمليات تمثيل العرض الرسمي للتاريخ أو تتفاعل معها أو تعارضها بشكل مباشر.

ألف- مبادئ جوانيه - أورنتليتشر وفان بوفين - بسيوني

٢٧- على الصعيد الدولي، أُعدت مجموعتان من المبادئ الأساسية في مجال التعويضات ومكافحة الإفلات من العقاب، يجب أخذهما بعين الاعتبار.

٢٨- أولاً، وضع لويس جوانيه، المقرر الخاص السابق للجنة الفرعية لمنع التمييز وحماية الأقليات، مجموعة مبادئ متعلقة بحماية حقوق الإنسان وتعزيزها من خلال إجراءات لمكافحة الإفلات من العقاب، ينصب تركيزها على أربعة محاور للعدالة الانتقالية، هي الحق في المعرفة والحق في العدالة والحق في التعويض والحق في ضمانات عدم تكرار الانتهاكات (E/CN.4/Sub.2/1997/20/Rev.1). ولا ينحصر تعريف الحق في المعرفة في حق فرادى الضحايا أو أقاربهم اللصيقين في معرفة ما حدث (الحق في معرفة الحقيقة)، وإنما يشمل أيضاً "حق جماعي يعود أصله إلى التاريخ لتلافي تكرار الانتهاكات في المستقبل" (المرجع نفسه، الفقرة ١٧). وينص المبدأ ٢ على أن "معرفة الشعب لتاريخ اضطهاده جزء من تراثه، فيجب، بناءً على ذلك، صياغة هذه المعرفة باتخاذ التدابير المناسبة باسم واجب حفظ الذاكرة المناط بالدولة. وترمي هذه التدابير إلى حفظ الذاكرة الجماعية من النسيان بغية الاحتياط على وجه الخصوص من ظهور نظريات تحرِّف الوقائع أو تنفيها".

٢٩- وأكد السيد جوانيه ضرورة اتخاذ إجراءات تقوم على تخليد الذكرى: "على الصعيد الجماعي تُتخذ تدابير ذات صبغة رمزية، على سبيل التعويض المعنوي، مثل اعتراف الدولة علناً ورسمياً بمسؤوليتها، وإصدار بيانات رسمية يُردُّ فيها الاعتبار للضحايا، وتنظيم احتفالات لإحياء ذكرى الضحايا وتسمية الشوارع وإقامة نصب تذكارية لهم تتيح فرصة أفضل لأداء واجب الذكرى" (المرجع نفسه، الفقرة ٤٢). وقامت ديان أورنتليتشر، الخبيرة المستقلة المكلفة بتحديث مجموعة مبادئ السيد جوانيه، بتوسيع نطاقها لتصبح "المجموعة المستوفاة من المبادئ المتعلقة بحماية حقوق الإنسان وتعزيزها عن طريق اتخاذ إجراءات لمكافحة الإفلات من العقاب"، مع عدم تغيير العناصر المتعلقة بواجب حفظ الذاكرة (E/CN.4/2005/102 and Add.1).

٣٠- أما المبادئ التي أعدها في تقارير أخرى المقرر الخاص للجنة الفرعية، ثيو فان بوفين (E/CN.4/1997/104)، والمقرر الخاص للجنة حقوق الإنسان، شريف بسيوني (E/CN.4/2000/62)، فشكّلت الأساس للمبادئ الأساسية والمبادئ التوجيهية بشأن الحق في الانتصاف والجبر لضحايا الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي لحقوق الإنسان والانتهاكات الخطيرة للقانون الإنساني الدولي، التي اعتمدتها الجمعية العامة في قرارها ١٤٧/٦٠.

٣١- وأكدت الجمعية العامة مجدداً، في ذلك القرار، أن عمليات تخليد الذكرى جزء من المسألة الأوسع نطاقاً المتعلقة بالتعويضات، وسلّمت بأن الترضية ينبغي أن تتضمن، كلما أمكن، أياً من الأمور التالية أو كلها: التحقق من الوقائع والكشف الكامل والعلني عن الحقيقة؛ وإصدار إعلان رسمي أو قرار قضائي يعيد الكرامة والسمعة وحقوق الضحية والأشخاص الذين تربطهم بها صلة وثيقة؛ وتقديم اعتذار علني، بما في ذلك الاعتراف بالوقائع وقبول المسؤولية؛ وإحياء ذكرى الضحايا وتكريمهم؛ وتضمين مواد التدريب والتعليم في مجال القانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي، على جميع المستويات، وصفاً دقيقاً لما وقع من انتهاكات.

٣٢- ولم تضطلع آليات الأمم المتحدة بعد بدراسة عالمية بشأن ممارسات تخليد الذكرى في ضوء هذه المبادئ. ومع ذلك، فإن بعض تقارير الأمم المتحدة المتعلقة بسياقات قطرية معينة تسترعي الانتباه على نحو مفيد إلى هذا الموضوع. فمثلاً، يؤكد بقوة تقرير المسح الذي صدر في عام ٢٠١٠ بشأن انتهاكات حقوق الإنسان المرتكبة في الفترة من عام ١٩٩٣ إلى عام ٢٠٠٣ في جمهورية الكونغو الديمقراطية الحاجة إلى حفظ ذكرى الانتهاكات، ويشير التقرير، في سياق عرض أمثلة عملية، إلى أن عملية تخليد الذكرى قد تحرض على الانتقام[١٥]. وبالمثل، خلص تقرير الفريق العامل المعني بحالات الاختفاء القسري أو غير الطوعي، عن بعثته إلى البوسنة والهرسك، إلى أن قضية النصب التذكارية سببت الكثير من الجدل والتعاسة في البلد

(١٥) انظر http://www.ohchr.org/Documents/Countries/ZR/DRC_MAPPING_REPORT_FINAL_EN.pdf، لا سيما الفقرات من ١٠٠٦ إلى ١١١٥.

(A/HRC/16/48/Add.1، الفقرة ٤٨). ونظر الفريق العامل أيضاً بعناية في تنفيذ توصيات هيئة الإنصاف والمصالحة في المغرب فيما يتعلق بالتعويضات المجتمعية، بما في ذلك تحويل مراكز الاحتجاز السابقة إلى نصب تذكارية (A/HRC/13/31/Add.1، الفقرات من ٥٦ إلى ٦٦).

باء- المؤتمرات الدبلوماسية

٣٣- أسهمت المؤتمرات الرئيسية بشأن المحرقة، المعقودة في تسعينات القرن الماضي والعقد الأول من القرن الحالي في لندن وواشنطن العاصمة وستوكهولم، في جعل التعويض الرمزي جزءاً لا يتجزأ من جدول الأعمال الدولي. وأبدى المشاركون التزاماً مشتركاً بإحياء ذكرى الضحايا، وتكريم من وقفوا ضد المحرقة، وتشجيع الأشكال المناسبة لإحياء ذكرى المحرقة في بلدانهم(١٦).

٣٤- وتصدى المؤتمر العالمي لمكافحة العنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب، المعقود في عام ٢٠٠١، للفجوة في تخليد الذكرى فيما يتعلق بتجارة الرقيق والاستعمار. وسلّمت الدول، في إعلان ديربان، بالمعاناة البشرية الهائلة وما يقاسيه ملايين الرجال والنساء والأطفال من محن مأساوية من جراء الرق، وتجارة الرقيق، بما في ذلك تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلنطي، والفصل العنصري، والاستعمار، وأعربت هذه الدول عن بالغ أسفها لذلك. وطلبت هذه الدول إلى الدول المعنية أن تُكرّم ذكرى ضحايا مآسي الماضي. وإذ لاحظت أن البعض قد اتخذ خطوات نحو الإعراب عن الأسف أو الندم أو تقديم الاعتذارات، طلبت هذه الدول إلى جميع من لم يساهموا بعد في إعادة الكرامة إلى الضحايا أن يجدوا وسائل مناسبة للقيام بذلك. وكانت المداولات صاخبة، إذ ساور الخوف بعض البلدان الغربية من أن الالتزام بالإعراب عن الندم سيؤدي إلى مطالبات بتعويضات مالية.

٣٥- وصار تخليد الذكرى جزءاً من جدول الأعمال الدولي الآن. ويتضح هذا أيضاً من الأيام الدولية التي تحيي ذكرى أخطاء الماضي. ومع ذلك، ينبغي أن يتساءل المرء عن مدى فعالية تلك الأيام الدولية، وما إذا كان لها صدى مجتمعي قوي في الدول والمجتمعات التي تحتفل بهذه الأيام التذكارية.

جيم- قرارات محكمة البلدان الأمريكية لحقوق الإنسان

٣٦- كان للاتجاه نحو تخليد الذكرى تأثير على العمليات القضائية، خاصة في أمريكا اللاتينية، حيث أمرت محكمة البلدان الأمريكية لحقوق الإنسان، في عدة أحكام، بإنشاء نصب تذكارية عامة لجرائم سابقة.

(١٦) Declaration of the Stockholm International Forum on the Holocaust, para. 6.

٣٧- وقضت هذه المحكمة، في حكمها بشأن إنشاء نصب تذكاري يخصص لضحايا الحرب الأهلية في بيرو، بأن "تضمن بيرو، خلال فترة عام، أن يتم تدوين أسماء جميع الأشخاص الذين ورد ذكرهم في هذا الحكم بوصفهم متوفين على النصب التذكاري المسمى العين التي تبكي"[١٧]. وبالمثل، أشار حكم المحكمة بشأن مقتل ١٩ تاجراً في كولومبيا إلى ضرورة مضي الدولة قدماً في إنشاء نصب تذكاري لهم[١٨]. وطلبت المحكمة، في حكمها بشأن مذبحة ريو نغرو في غواتيمالا، إنشاء متحف لتكريم ضحايا النزاع المسلح الداخلي[١٩].

٣٨- ومن ثم، قد ترى المحاكم أيضاً أن لها دوراً في تيسير إقامة النصب التذكارية، وقد ترى السلطات الوطنية أن نهجها يلقى معارضة من أطراف مؤثرة أخرى تشارك بفعالية في تصميم الساحات التذكارية.

دال- توصيات لجان تقصي الحقائق والمصالحة

٣٩- لا يراد لهذه الوثيقة أن تستوعب قائمة شاملة لجميع لجان تقصي الحقائق والمصالحة التي دعت إلى إنشاء نصب تذكارية. ومع ذلك، يجدر ذكر توصيات لجان تقصي الحقائق والمصالحة في كل من ألمانيا وبيرو وجنوب أفريقيا والسلفادور وغواتيمالا والمغرب، ولجنة التحقيق في تشاد، رغم عدم تنفيذ جميع توصيات هذه اللجان.

٤٠- ودعت لجنة تقصي الحقائق في السلفادور، صراحةً، في تقريرها، إلى بناء نصب تذكاري وطني في السلفادور يحمل أسماء جميع ضحايا النزاع، وإلى التنويه بالسمعة الحسنة للضحايا وتوضيح الجرائم الخطيرة التي كانوا ضحايا لها، وتخصيص يوم عطلة وطنية لذكرى ضحايا النزاع ليكون رمزاً للمصالحة الوطنية (S/25500، صفحة ١٨٦).

٤١- وعلى نفس المنوال، أوصت لجنة توضيح الحقائق التاريخية في غواتيمالا، في جملة توصيات، بإنشاء نصب تذكارية وحدائق، وبتسمية المباني العامة والطرق السريعة بأسماء الضحايا تخليداً لهم[٢٠]. وأشارت اللجنة إلى أن "الذاكرة التاريخية، الفردية والجماعية، تشكل أساس الهوية الوطنية. ويشكل تذكر الضحايا جانباً أساسياً في هذه الذاكرة التاريخية ويسمح باستعادة قيم الكفاح من أجل الكرامة الإنسانية ويؤكد شرعية ذلك الكفاح". ووُجِّه الانتباه بشكل خاص إلى ضرورة مراعاة الطابع المتعدد الثقافات للأمة الغواتيمالية وإلى تشجيع إقامة نصب تذكارية وإنشاء مقابر مجتمعية والإذن بذلك وفقاً لأشكال الذاكرة الجماعية لحضارة المايا.

---

(١٧) *Miguel Castro-Castro Prison* v. *Peru*, judgment of 25 November 2006, para. 463.

(١٨) *19 comerciantes* v. *Colombia*, judgment of 5 July 2004, para. 273.

(١٩) *Masacres de Río Negro* v. *Guatemala*, judgment of 4 September 2012, paras. 279 and 280.

(٢٠) Report of the Commission for Historial Clarification, conclusions and recommendations, p. 49, available from https://hrdag.org/wp-content/uploads/2013/01/CEHreport-english.pdf.

٤٢- وقامت بعض اللجان برعاية أحداث فنية بعيدة عن معيار النصب التذكارية المادية. فمثلاً، نظمت لجنتا بيرو وتيمور - ليشتي معارض للصور والملصقات[٢١].

٤٣- وقد أوصت لجان عديدة بتحويل أماكن الاحتجاز إلى أماكن تذكارية، أو دعت، بدلاً من ذلك، إلى إقامة نصب تذكارية. غير أن السلطات الوطنية لم تلتزم دائماً بهذه التوصيات. فمثلاً، دعت لجنة تشاد في الفترة من عام ١٩٩٠ إلى عام ١٩٩٢، وهي من أوائل لجان التحقيق في أفريقيا، إلى إقامة نصب تذكاري لضحايا القمع تحت حكم حسين حبري، وطلبت إعلان يوم الأحد الثاني من شهر كانون الأول/ديسمبر يوم صلاة وتأمل من أجل أولئك الضحايا. وأوصت هذه اللجنة أيضاً بتحويل السجن المقام تحت سطح الأرض في المقر الرئيسي السابق لإدارة التوثيق والأمن (الشرطة السياسية) إلى متحف لتذكر العهد المظلم[٢٢]. وفي المغرب، أوصت هيئة الإنصاف والمصالحة في تقريرها الختامي بتحويل مراكز الاعتقال والاحتجاز غير القانونية إلى مشاريع منتجة يمكنها أن تحافظ على الذاكرة[٢٣].

٤٤- وتعد توصيات لجان الحقيقة والمصالحة معالم مهمة تساعد منظمات المجتمع المدني على إدراج قضايا تخليد الذكرى في جداول أعمالها. وتحد تلك التوصيات في أحيان كثيرة، من خيارات اتخاذ الإجراء المناسب من جانب الحكومة التي قد تعمد إلى تدمير أماكن المعاناة، وبذلك تمحو الذكريات المرتبطة بها.

هاء- منظور الحقوق الثقافية

٤٥- الحقوق المدنية والسياسية هي بعض من حقوق الإنسان التي ترد الإشارة إليها أكثر من غيرها في سياق وضع سياسات العدالة الانتقالية وعمليات تخليد الذكرى. وقد يُعزى ذلك إلى أن الانتهاكات التي يُستشهد بها في معظم الأحيان في ممارسات تخليد الذكرى تتعلق بالحق في الحياة والسلامة البدنية والحرية. وتشمل عمليات تخليد الذكرى أيضاً ممارسة الحق في حرية الرأي والتعبير، والحق في حرية الدين والمعتقد، والحق في التجمع السلمي وإقامة الجمعيات (المواد من ١٨ إلى ٢٢ من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية).

٤٦- غير أن هذا التمييز بين فئات الحقوق يكون مضللاً على الدوام. فالانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان أثناء النزاعات تشمل انتهاك الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وتجدر الإشارة إلى أن المدارس والمؤسسات الثقافية والرموز الثقافية والتراث الثقافي تُستهدف بشكل خاص في أوقات الحرب. كما يجب أيضاً تناول الدور الذي تؤديه المعايير العامة والثقافية في حدوث الانتهاكات المنهجية لحقوق الإنسان، بقدر أهمية هذا الدور[٢٤].

---

(٢١) Pablo de Greiff, "On making the invisible visible".

(٢٢) انظر Mahamat Hassan Abakar, *Chronique d'une enquête criminelle nationale. Le cas du régime de Hissène Habré, 1982–1990*, (Paris, L'Harmattan, 2006), p. 110-111.

(٢٣) Equity and Reconciliation Commission, final report, *Truth, Equity and Reconciliation*, vol. 1, see for instance pp. 92 and 99, available from http://www.ccdh.org.ma/IMG/pdf/rapport_ang_1.pdf.

(٢٤) Bickford, "Memoryworks/memory works".

٤٧- وللإجراءات المتخذة في ميدان الثقافة قدرة لا مثيل لها على الإسهام بقدر مهم في العمليات الانتقالية، وذلك تحديداً بإتاحة الحيز الذي يمكن فيه اختبار الهويات، بما في ذلك هوية من يطالب بالحقوق[٢٥]. وتساعد التدخلات الثقافية في إظهار الضحايا بتوفير حيز آمن لهم للتعبير عن تجاربهم[٢٦]. والذكريات عمليات ذات طابع شخصي تستند إلى التجارب والمؤشرات المادية والرمزية لأطر ثقافية تفسيرية معينة[٢٧]. ومن ثم، فإن الإجراءات المتخذة في المجال الثقافي تيسر التفاعل والتفاهم الثقافيين، ويمكنها أن تساعد في تصميم مشاهد ثقافية جديدة تشمل وتعكس تعددية المنظورات الثقافية المتنوعة.

٤٨- ولذلك ينبغي ألا تهمل استراتيجيات العدالة الانتقالية وسياسات المصالحة في المجتمعات المنقسمة الحقوق الثقافية، على النحو المنصوص عليه في المادة ١٥ من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فلجميع الأشخاص الحق في الحصول على الثقافة والمشاركة فيها والتمتع بها والمساهمة فيها، لا سيما التراث الثقافي، وتشمل الثقافة كلاً من التاريخ والذاكرة (انظر الوثيقة A/HRC/17/38، الفقرتان ٥ و٨). وينبغي أن يتمكن الفنانون من إسماع صوتهم؛ ويجب احترام وحماية الحق في حرية التعبير الفني والإبداع على نحو كامل (انظر الوثيقة A/HRC/23/34). وبصورة أعم، تستدعي الحقوق الثقافية تنفيذ السياسات التي تعزز التفاعل والتفاهم الثقافيين بين الناس والمجتمعات، وتبادل وجهات النظر بشأن الماضي وبشأن تصميم مشهد ثقافي يعبر عن التنوع الثقافي.

رابعاً- ممارسات تخليد الذكرى: التحديات المحددة

٤٩- تؤدي الحكومات دوراً رئيسياً في تشكيل صورة الماضي. ومن المؤسف أن الحكومات كثيراً ما تطرح مشاريع تُنفَّذ من القمة إلى القاعدة، مما يؤدي إلى فرض رؤى أحادية أو جزئية للتاريخ.

ألف- الضحايا والجناة والأبطال

٥٠- يصبح تعريف الضحايا والجناة عقب النزاعات قضية سياسية ورمزية كبرى. ونظراً إلى أن تخليد الذكرى مجال لروايات متعارضة، من المهم الابتعاد عن التعاريف المطلقة للضحايا والجناة. وتوجد في كثير من الأحيان أصوات مخالفة داخل مجموعات الضحايا، لا سيما عندما تكون مجموعات الضحايا قد قتل بعضها بعضاً. وبالإضافة إلى ذلك، تكون

(٢٥) المرجع نفسه.

(٢٦) Pablo de Greiff, "On making the invisible visible".

(٢٧) International Coalition of Sites of Conscience, "From memory to action, a toolkit for memorialization in post-conflict societies", p. 3.

هوية الجناة غير واضحة إلى حد ما، أو على الأقل غير محددة بالكامل في مواقع كـــثيرة[٢٨]. وعلاوة على ذلك، يتخذ الجناة أيضاً موقف الضحية إذا دُعوا إلى النقاش.

٥١- ويُعد الجدل حول نصب "العين التي تبكي" في ليما، وهو النصب الذي يحمل أسماء ضحايا الحرب الأهلية، مثالاً على ذلك. فالسؤال المطروح هو ما إذا كان ٤١ سجيناً مـــن أعضاء حركة الدرب الساطع، الذين يعتبرهم عدد كبير من السكان إرهابيين، والذين قُتلـــوا أثناء قمع عملية شغب في السجن، يمكن تصنيفهم كضحايا. وقد دار جدل شديد في هـــذا الصدد. ورأت محكمة البلدان الأمريكية لحقوق الإنسان، وفقاً للقـــانون الـــدولي لحقـــوق الإنسان، أن من قُتلوا دون محاكمة، بمن فيهم المجرمون، ينبغي اعتبارهم ضحايا. ومـــما يـــثير العجب أن الـ ٤١ اسماً دُونت بالفعل على النصب التذكاري، ولكن لم يلاحظ أحد ذلك قبل صدور حكم المحكمة. وقد أدت الآراء الشديدة التناقض بشأن الأسماء التي ينبغي تدوينها إلى وقف اكتمال النصب التذكاري.

٥٢- وتشجع بعض عمليات تخليد الذكرى تعدد الروايات داخل نفس النصب التذكاري أو متحف التاريخ. فمثلاً، يهدف متحف ميدلين في كولومبيا، الذي شارف على الاكتمال، إلى عرض تاريخ الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، بغض النظر عن الجماعات التي ينتمي إليها الجناة: عصابات، أو جماعات شبه عسكرية، أو تجار مخدرات، أو الجيش.

٥٣- إن عمليات تخليد الذكرى التي تحدد فئة واحدة فقط كضحايا وتمحو الجرائم الخطيرة المرتكبة ضد الأطراف الأخرى في التراع، تثير القلق. فمثلاً، عندما تُنشأ بعد حـــرب أهليـــة نُصب تذكارية مكرسة لضحايا إحدى الفئات الإثنية دون مراعاة الفئات الأخرى، قد يزيد ذلك من التوترات الطائفية ويضفي "الطابع العرقي" على الضحايا ويؤدي إلى مزيـــد مـــن العنف. وفي الحالات الأشد تطرفاً، عندما تحمل النصب التذكارية رموزاً تـــرتبط حـــصرياً بطائفة إثنية أو دينية أو لغوية أو سياسية واحدة، فإن هذه النصب ترسم حدوداً للمجتمعات، وتضع حدوداً بين الناس، بوسائل منها رسم الحدود الإقليمية داخل الدول وفيما بينها. وتؤثر عمليات التحديد هذه على حرية حركة الأشخاص الذين قد لا يشعرون بالارتياح في مشهد ثقافي ورمزي معين. ومن ثم، يمكن للنصب التذكارية أن تساهم في مواصلة أعمال الـــتطهير العرقي التي بدأت أثناء الحرب.

٥٤- ولا تكون عمليات تخليد الذكرى بلا قيود إلا عندما يتم تذكر جميع الأطـــراف وتحديد التسلسل السياسي للأحداث وتوضيح عواقبها، وعندما يتمكن المجتمع، ولا سيما الجهات الرئيسية صاحبة المصلحة، من الإسهام في وضع اســـتراتيجيات تطـــوير العدالـــة الانتقالية[٢٩]. ومن المهم إتاحة أماكن عامة تسمح بمشاركة الجميع في النقـــاش وتـــضمن

(٢٨) Bickford,"Memoryworks/memory works".

(٢٩) Clara Ramírez-Barat, "Transitional justice and the public sphere", in *Transitional Justice, Culture and Society: Beyond Outreach*.

مصداقية العملية، فضلاً عن ملكية الناس لها: فالعملية نفسها، في نهاية المطاف، أي الحوار بشأن الماضي أكثر منه بشأن النتيجة النهائية، سواء أكانت نصباً تذكارياً أم أداءً، هي الأكثر فائدة.

٥٥- وثمة مبدأ أساسي هو تجنب الإطراء على جميع الحالات، مما يؤدي إلى إنكار أخطاء الماضي. وتوجد في حالات كثيرة دوائر من الضحايا، ولا يوجد بالضرورة تكافؤ أخلاقي وسياسي بين الأطراف المتنازعة[٣٠]. علاوة على ذلك، لا يمكن للمرء دائماً أن يقحم وجهة نظر الجناة في روايات الضحايا.

٥٦- وتتمخض المآسي أيضاً عن شخصيات بطولية تتحول إلى مواضيع لتخليد الذكرى. ففي خمسينات القرن الماضي، كان نصب ياد فاشيم التذكاري في إسرائيل هو أول نصب يُكرس للاعتراف بالأشخاص الذين خاطروا بحياتهم لإنقاذ الآخرين من الاضطهاد. ونُفذت بعد ذلك مبادرات مماثلة في بلدان أخرى (أرمينيا وبوروندي ورواندا ويوغوسلافيا سابقاً). وفيما يتعلق بالحرب في البوسنة والهرسك، يمثل تسليط الضوء على هؤلاء الأشخاص وعلى أعمالهم تحولاً في عملية تخليد الذكرى، مما يساعد على دحض الاعتقاد بأن الإجراءات التي يتخذها الناس تحددها مسبقاً انتماءاتهم الوطنية أو الإثنية: فالمجتمعات لن تكون مطلقاً الكتل المؤلفة من عنصر واحد التي يسعى النزاع إلى إنشائها. ويحدث التضامن أيضاً، لا العنف فقط، أثناء الحرب. ويحمل الاعتراف بذلك معنى أخلاقياً وتعليمياً، مما يثبت أن الاختيار الحر والعصيان والمقاومة قد تكون مسارات ممكنة برغم المخاطر[٣١].

باء- مسألة التوقيت

٥٧- متى ينبغي أن تبدأ عمليات تخليد الذكرى ولأي فترة ينبغي أن تستمر؟ قد يبدو أن تخليد الذكرى بدأ مبكراً جداً، عقب النزاع مباشرة أو أثناءه، مما لا يسمح بنضج عملية التفكير، وإن كان عدم تخليد الذكرى قد يسبب مزيداً من المعاناة للضحايا وأسرهم. وحتى عندما تكون السلطات الحكومية غير مستعدة لبدء عمليات تخليد الذكرى، فإن هذه العمليات تبدأ بالفعل بمبادرة من جانب المجتمع المدني أو الضحايا، ومن جانب الأطراف المتنازعة كذلك. ولا يترك ذلك للسلطات الحكومية خياراً سوى التدخل.

٥٨- وفي حالات كثيرة، تتواصل إضافة تسجيلات جديدة إلى النصب التذكاري نفسه، مما يضيف طبقات من القصص ومزيداً من التعقد.

---

(٣٠) انظر Olivier de Frouville, “Le droit de l’homme à la vérité en droit international: à propos de quelques ‘considérations inactuelles’”, in *La vérité*, Olivier Guerrier, ed. (Saint-Etienne, France, Université de Saint-Etienne, 2013) pp. 129-151.

(٣١) Svetlana Broz, *Good People in an Evil Time* (New York, Other Press, 2005).

جيم- النصب التذكارية "غير القانونية"

٥٩- كثيراً ما تقيم جماعات مختلفة، بمن فيها أسر الضحايا، نصبها التذكارية الخاصة، لا سيما في حالة عدم وجود مبادرات من سلطات الدولة. وقد تتسرع هذه الجماعات في إقامة نصبها التذكارية فتتصرف أحياناً خارج نطاق القانون. وقد تردّ عليها طوائف أخرى بإقامة نصب تذكارية بديلة بروايات أخرى. وعلى سبيل المثال، تستخدم جماعات في أيرلندا الشمالية الجدران للتعبير عن رؤى مختلفة للنزاع. وقد يرى البعض أن هذه الحالات تؤجج التوترات بين الطوائف أو يرى فيها وسيلة يعرب بها الناس عن آرائهم بطرائق غير عنيفة، فتُطرح من هنا مسألة كيفية تنظيمها.

٦٠- وفي بعض الحالات، تغض السلطات وكذلك المجتمع الطرف عن نصب تذكارية غير مرخص بها، إما لأن المبادرة تعتبر خطوة إيجابية، أو لأن إزالة النصب التذكاري قد تزيد حدة التوترات بين الطوائف. ويكمن الخطر في احتمال أن تتحول النصب التذكارية إلى رموز ثقافية وسياسية تعمّق الانقسامات بدلاً من أن تساعد على المصالحة، في الحالات التي تكون فيها مفروضة على السكان داخل أحيائهم، بما فيها النصب التذكارية التي تقام داخل المدارس أو أمامها. وعلاوة على ذلك تميل هذه العمليات في أحيان كثيرة إلى استخدام الرموز والذاكرة لوصف الجماعات أو الإشارة إليها باعتبارها كتلة واحدة متجانسة[٣٢].

دال- النصب التذكارية والمواقع المتعلقة بالأنظمة القمعية البائدة

٦١- تتحكم الأنظمة المتسلطة والاستبدادية في الذاكرة لا لأغراض الدعاية فحسب وإنما أيضاً كأداة لإضفاء التجانس على المجتمع في جميع مناحي الحياة: ويمثل هذا حجة قوية لمن يرى أن وصول الناس إلى ذاكرة تعددية حق من حقوق الإنسان.

٦٢- والسؤال هو كيف يمكن التعامل مع إرث معماري ذي دلالات رمزية قوية عند سقوط الأنظمة القمعية. هل ينبغي لحكومة ديمقراطية جديدة هدم هذا الإرث؟ أم تحافظ عليه؟ أو تغييره؟ وتختلف الأجوبة من حالة إلى أخرى، مثيرة في حالات كثيرة جدلاً صاخباً حتى في صفوف الضحايا. وتشمل الأمثلة المعبرة النقاش المثار في إسبانيا بخصوص النصب التذكاري الموجود في وادي الشهداء (Valle de los caidos) حيث دُفن فرانكو، وفي بلغاريا بخصوص ضريح الزعيم الشيوعي الراحل جورجي ديميتروف، الذي انتهى الأمر إلى هدمه، وفي ألمانيا بخصوص خندق هيتلر، الذي يقبع الآن تحت باحة لوقوف السيارات في وسط برلين ولا تسمه إلا إشارة صغيرة.

(٣٢) Beatrice White, "The significance of murals in the Northern Ireland conflict", in *Walking the Tightrope: Europe between Europeanisation and Globalisation*, Janny de Jong, Ine Megens and Margriet van der Waal, eds. (Groningen, Netherlands, University of Groningen, 2011), p. 307.

٦٣- ويكون خيار الحفاظ أو التغيير أو الهدم ذا مغزى في جميع الحالات، لذا يتعين مناقشته وتأطيره وتفسيره. وعلى سبيل المثال، يمكن أن يفسّر هدم تلك المعالم وتغييرها على أنه استعداد لمحو جزء من التاريخ أو دحض رواية بعينها.

هاء- تشجيع التفكير النقدي والمشاركة المدنية

٦٤- تؤثر النصب التذكارية، باعتبارها جزءاً من المشهد الرمزي الثقافي، على تصور الأفراد لوقائع الماضي وفهمهم لها، وينطبق هذا بنفس القدر على قضايا العصر. ولذا يجب تقييمها بحس نقدي. ويكتسي هذا الأمر أهمية خاصة حيثما كان الأفراد، بمن فيهم الأطفال، محاطين بأطياف صور ورموز متكررة عديدة مثل اللوحات الجدارية والتماثيل. وقد تكون إقامة الشراكات مع الفنانين مفيدة على نحو خاص، لأنهم يستطيعون في أحيان كثيرة تقديم عناصر مثيرة للنقاش. ويؤدي المربون أيضاً دوراً رئيسياً. وتشجع عمليات التذكر الإيجابية التفكير النقدي بشأن التاريخ، ويمكن للنصب التذكارية، في سياقات متنوعة، أن تستخدم أساليب إبداعية لحفز هذه المشاركة المدنية بإتاحة فرص جديدة للتحاور بشأن المخاطر التي تهدد حقوق الإنسان وما يمكن للأفراد فعله للتصدي لتلك المخاطر[٣٣].

٦٥- وفي بلدان كثيرة، حُولت أماكن تعذيب سرية إلى أماكن عامة تتجسد فيها تطلعات الشعوب إلى العدالة والديمقراطية وتتيح للناس فرصاً لإعمال الفكر بحس نقدي وإعادة النظر في تأويلات الماضي المسلم بها. ففي إيطاليا مثلاً، شُيدت مدرسة مونتي سولي للسلام على رقعة الأرض التي أجهزت فيها قوات الوحدة الوقائية على ٧٧٠ مدنياً. وتدعو المدرسة شباباً من المجتمعات المتأثرة بالنزاع للتجمع والتفكر في الماضي بغية منع حدوث المزيد من الفظاعات[٣٤]. ويتمثل دور الدولة في ضمان أن تصبح أماكن الانتهاكات الجسيمة مواقع معرفة؛ بيد أن تلك المواقع تغلق في معظم الأحيان أمام الجمهور أو تهدم وتطمس معها الآثار التي توثق ما حدث.

واو- دور الفنانين

٦٦- يمثل شكل المعلم التذكاري عاملاً حاسماً في تحديد أثره الاجتماعي وقد عمل فنانون كثيرون على الربط بين الجماليات والإيدولوجيات[٣٥]. لذا يمكن أن يؤدي الفنانون دوراً كبيراً في عملية التذكّر، لا سيما المكلفون بالعمل على المعالم التذكارية. فقدرة الفنانين على

---

(٣٣) Sebastian Brett and others, *Memorialization and Democracy: State Policy and Civic Action*, p. 7.

(٣٤) المرجع السابق.

(٣٥) See Chiara Bertini, Janis Schroeder et Roxane Bovet, “Avez-vous déjà remarqué l’Immigré?”, *Genève, Les monuments de la discorde*, 12–26 February 2013, available from http://head.hesge.ch/ccc/wp-content/uploads/2013/10/pimpa_article_etudiants02_supplement_HEAD.pdf.

تسليط ضوء جديد على الماضي وتمكين الأفراد من "تخيّل" الآخرين تتيح لهم إمكانية أداء دور حاسم في العمليات التذكارية[٣٦]. وبالتركيز على "أشخاص آخرين محددين"، يمكن للتعبير الفني إبراز الضحايا: "فهو قادر على إذكاء الوعي بعمق وسعة بانتهاكات الحقوق وآثارها، أكثر من أي شكل آخر من أشكال التواصل الممثلة لا في البيانات الإحصائية الجافة فحسب، بل وفي التقارير الرسمية التي تعدها لجان تقصي الحقائق أيضاً"[٣٧].

٦٧- ويتيح إشراك الفنانين فرصاً لتوسيع النقاش المتعلق بمعنى نصب تذكاري معين ومن ثم بسائر جوانبه. وعلى سبيل المثال، كانت حركة مناهضة النصب التذكارية محاولة أصولية من بعض الفنانين للتعامل مع مسألة تمثيل الانتهاكات الواسعة لحقوق الإنسان بعد عام ١٩٤٥. وتمثل أحد الإنجازات الرمزية لهذا الاتجاه الساعي إلى إيجاد شكل مغاير لهندسة النصب التذكارية للأنظمة الفاشية في معلم مناهضة الفاشية الذي أقامه يوشن وإيستير غيرتس قرب هامبورغ. وقد رُفع هذا العمود البالغ من الطول ١٢ متراً في عام ١٩٨٦ وصُمّم بحيث يغوص في الأرض تدريجياً بينما الزوار يمهرونه بتوقيعاتهم ويزوقونه برسومهم. وتمثل القصد من العمود الذي غاص بأكمله في الأرض في عام ١٩٩٣، في نقل رسالة بسيطة: وهي أن الأفراد وحدهم - لا النصب - يستطيعون مقاومة عودة الفاشية.

٦٨- ويصعب على بعض الفنانين المشاركة في أعمال فنية يكلفون بها لأغراض إقامة نصب تذكارية لأنهم يسعون إلى تشييد تلك النصب لا من زاوية نظر الحاكم وإنما المحكوم. وتكمن معضلتهم فيما إذا كان عليهم التفاوض مع السلطات الحكومية بشأن معنى وشكل نصب تذكاري معين أو مجرد استخدام الفضاء العام لتفنيد عمل مضاد لرواية رسمية أو شائعة. وتستند نصب تذكارية كثيرة اليوم إلى مفاهيم رائدة لدور الفن والفنان في تحدي السلطة، كسلطة الرواية الرسمية للتاريخ[٣٨]. وهم يساهمون بذلك مساهمة كبيرة في تشجيع التفكير النقدي والمشاركة المدنية.

٦٩- وتشمل التجارب المثيرة للاهتمام تجارب فنانين عارضوا النداءات العامة إلى إقامة نصب تذكارية بشأن أحداث معينة تساءلوا عمّا تمثله من إيديولوجيات، ففتحوا بذلك المجال أمام النقاش العام وتمكين الضحايا. وعلى سبيل المثال، أثار فريق النصب التذكارية، بقيادة الفنان ميليكا توميش، نقاشاً عاماً بعد إعلان مدينة بلغراد عن مسابقة في عام ٢٠٠٢، لبناء نصب تذكاري للمحاربين القتلى والضحايا الذين سقطوا في الحروب التي اجتاحت إقليم يوغوسلافيا السابقة في الفترة ما بين عامي ١٩٩٠ و١٩٩٩، مما دفع المدينة إلى إلغاء المسابقة. وتابع الفريق مناقشاته معلناً أن أي تظاهرة ومناقشة عامة بشأن أحداث الماضي

(٣٦) Amos Oz, *How to cure a fanatic* (London, Vintage Books, 2012).

(٣٧) Pablo de Greiff, "On making the invisible visible: the role of cultural interventions in transitional justice processes".

(٣٨) Bickford, "Memoryworks/memory works", pp. 499 and 500.

تشكل في حد ذاتها معلماً. ونجحت النقاشات التي شارك فيها فنانون وخبراء مهنيون وطلاب إلى جانب الضحايا والجمعيات، في فتح قنوات ليعرب الضحايا من خلالها عن أنفسهم ويعرضون فنونهم وأعمالهم التذكارية، كما حدث في أومارسكا مثلاً. وهكذا يغدو الضحايا فاعلين رئيسيين في بناء النصب التذكارية الخاصة بهم.

٧٠- وللفنانين أيضاً رؤى متباينة للماضي وباستطاعتهم تدعيم هيمنة رواية ما بتكرارها بلا هوادة في المسرح والشعر والأفلام والرسم. ويمكن استخدام هذه الإبداعات الفنية لدعم النظم العقائدية لمن يحافظون على حواجز الاختلاف في المجتمعات التي تخرج من حالات نزاع. لذا يتعين على العاملين في الحقل الثقافي المشاركة في إجراء تحليل نقدي للمعلومات الموجودة وإقامة تعاون هادف وصلات فعالة مع المؤرخين والأكاديميين من أجل التصدي للأحداث وتطويرها لتتجاوز حدود الرواية المفردة.

٧١- وتشمل المبادرات المثيرة للاهتمام المتخذة في هذا الصدد مثلاً، سلسلة مسيرات عبر الحدود بين أيرلندا الشمالية وجمهورية أيرلندا، تنظم في إطارها لقاءات بين الفنانين والمدارس والجماعات الأهلية ويختتمها الفنانون بدعوة الجمهور إلى إعادة كتابة الرواية وإعادة تقديمها في شكل منشورات أو عروض فنية أو معارض. وينصب الاهتمام على المواقع التذكارية والأماكن الثقافية بغية استصلاحها لأغراض تربوية - يتمثل جوهرها في رؤية تربوية نقدية للذاكرة والتذكر. وتتجسد مبادرة أخرى في خطة لتشييد جدارية جديدة كبيرة في بلفاست تخليداً لذكرى الحرب العالمية الأولى، بغية الشروع في حوار نقدي مع الماضي بغرض تمحيص المواقف والروايات القائمة.

٧٢- ويستدعي ظهور هذه المبادرات احترام حق كل شخص في حرية التعبير والإبداع الفني وحماية هذا الحق وفقاً للمعايير الدولية (A/HRC/23/34). وفيما يتعلق بتقديم العروض الثقافية في الفضاء العام، تؤدي الدولة دوراً محدداً يتمثل في ضمان إتاحة هذا الفضاء لروايات متعددة وإتاحة فرص متكررة لتفاعل تلك الروايات فيما بينها. ويساعد ترويج فكرة أن الفضاء العام يجب أن يكون شمولياً وقائماً على المساواة وموجهاً إلى مواضيع تخدم الصالح العام بدلاً من الترويج لمصالح خاصة على تحديد الشروط اللازمة لضمان فتح نقاش ديمقراطي بين المواطنين[٣٩].

٧٣- مع أن التكليف بتشييد نصب تذكاري يعني ضمنياً إقامة حوار بين السياسيين والفنانين. من المهم توسيع نطاق هذا النقاش بحيث يشمل الجماعات المعنية والمجتمع برمته بمن فيه الأفراد المقيمون بالقرب من المعالم والنصب التذكارية. وينبغي أيضاً شرح الرسالة التي ينقلها الفنان وتقديمها للسكان.

(٣٩) Clara Ramírez-Barat, "Transitional justice and the public sphere".

زاي- متاحف التاريخ/المتاحف التذكارية

٧٤- نظراً إلى أن متاحف التاريخ/المتاحف التذكارية تستطيع إعادة ابتداع عروض وتنظيم معارض من مجموعة أشياء يمكن إعادة تأويلها، فهي تتمتع بمرونة أكبر في معالجة تعقيدات الروايات وكفالة تكامل الرؤى المتنوعة.

٧٥- وتحصل المتاحف على مقتنياتها من خلال عمليات انتقائية. وإذ ينظر الناس إلى معظم المتاحف على أنها مصدر موثوق للمعلومات، فهي عرضة أيضاً لأن تستخدم لترويج برامج سياسية أو للدفاع عن مصالح فئوية من خلال عرض رؤية محددة. ويتمثل أحد المستجدات الإيجابية في تزايد عدد المعارض المكونة من مؤلفات ذات طابع شخصي، مما يعني أن ما تعرضه يمثل الرؤية الشخصية للقائمين عليها وليس حقيقة موضوعية. وقد تواجه المتاحف وأمناؤها صعوبات محددة عند الخضوع لسلطة سياسية وضغوط مالية، لذا يتعين ضمان استقلال المتاحف والأمناء في إطار الحق في حرية الرأي والتعبير، على النحو المبين في المادتين ١٩ و٢٠ من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية.

٧٦- وتتباين بقدر كبير الطرائق التي تعكس بها المتاحف أحداث الماضي. وفي حين يتوقع من متاحف التاريخ أن تتناول الماضي مع التقيد بأخلاقيات ضوابطها الأكاديمية ووضع الأحداث والأشخاص في منظور وسياق أعم، ينتظر من المتاحف التذكارية أن تركز على الاحتفاء بالأحداث وتكريم الأشخاص، بمن فيهم الضحايا. غير أن التمييز بشكل قاطع بين النوعين من المتاحف لا يبدو ممكناً، بينما يزداد التداخل بين رسالات هذه المتاحف والنصب التذكارية بشكل مضطرد. وهناك اتجاه نحو إنشاء متاحف ومراكز توثيق بالقرب من النصب التذكارية بغية توفير المزيد من المعلومات عمّا تمثله و/أو إتاحة مجال أرحب للضحايا للتعبير عن رؤيتهم أو عرض أشياء (شخصية) معينة. وتساهم جميع هذه المبادرات على نحو مفيد في تعدد وجهات النظر المتكاملة عن الماضي.

٧٧- ويرى بعض الأمناء أن عملهم يتمثل في حفظ القصص للأشخاص المعنيين أنفسهم، الذين يشاركون في تصميم المعارض. ويتعين السماح للمعنيين بالمشاركة في البحوث وكتابة التاريخ والترحيب بمشاركتهم وتشجيعها. ويشكل قيام متاحف السلام بجمع الإفادات والمعروضات من الأشخاص الذين يشعرون بالحرج من الإدلاء بشهاداتهم أمام لجان تقصي الحقائق والمصالحة مثالاً على الكيفية التي يمكن بها للمتاحف تيسير ظهور روايات إضافية.

٧٨- وتتمثل إحدى الصعوبات في تركيز بعض المتاحف على إبراز الصدمة النفسية باعتبارها رؤية للأحداث العالمية، ولجوئها في ذلك إلى إضفاء الطابع الشخصي والتأثير النفسي وتحريك العواطف. وتؤدي إثارة العواطف الجياشة أثناء استخلاص الروايات الفردية إلى صعوبة إدراك السياق السياسي الأوسع.

٧٩- ومن المسائل المحددة التي يتعين الانتباه إليها مسألة إضعاف مصداقية المعروضات من أجل إثارة العواطف العميقة. ومن الأمثلة التي تروى عن ذلك حالة جرى فيها تركيب أرضية زائفة تحت أحذية مئات الضحايا من أجل تعميق الأثر. ومن جهة أخرى، يشكك المؤرخون في مصداقية ما يروى عن باب اللاعودة الشهير في جزيرة غوريه بالسنغال، الذي يقال إنه الباب الذي كان العبيد يخرجون منه إلى السفن.

حاء- إدارة الرفات

٨٠- بعد إبادة ما يزيد عن ٠٠٠ ٨ مسلم في سريبرينيتسا في تموز/يوليه ١٩٩٥، بذل المجتمع الدولي جهوداً كبيرة لتطوير تقنيات التعرف على الجثث بواسطة الحمض النووي. وقد تسنى اليوم التعرف على رفات أكثر من ٧٠ في المائة من آلاف المفقودين في حروب يوغوسلافيا السابقة وإعادتها إلى أسرهم. بيد أن تطبيق هذه التقنيات المتطورة مستحيل من الناحية المالية أو من نواح أخرى في بلدان كثيرة هلك فيها عدد كبير من الأفراد في الحروب أو النزاعات الداخلية، وكان ذلك قبل عقود في بعض الحالات. لذا تمثلت السياسة البديلة في عدم اتخاذ أي إجراء.

٨١- إلا أنه لا يمكن تجاهل هذه المسألة على الدوام، إذ يستمر اكتشاف القبور الجماعية عند إقامة الطرق أو تشييد المباني الجديدة مثلاً. وتختار السلطات بين حتمية التنمية وبين الحاجة إلى بناء نصب تذكاري وواجب احترام الموتى ولزوم التعامل مع المكان كمسرح جريمة وضرورة البحث عن الجناة (أو الخوف من فضحهم إذا كانوا يتقلدون مناصب عامة). وفي بعض الحالات، ترفض أسر المفقودين ذاتها مقترحات تشييد نصب تذكارية، مخافة أن تكون تلك ذريعة لعدم فتح القبور الجماعية. وتعترض الأسر بشدة على ردم ما تقدمه من طلبات إخراج الرفات تحت شيء من الإسمنت الرمزي، وتطالب باستمرار باسترجاع رفات مفقوديها.

٨٢- وتنشأ كذلك مسائل أخلاقية عند عرض الرفات في المتاحف.

طاء- تذكّر تجارة الرقيق

٨٣- يتعلق أحد أهم أمثلة التذكّر وأكثرها حساسية بتجارة الرقيق الأفارقة على مدى قرون.

٨٤- وقد بدأت معظم المجتمعات، لا سيما في بلدان الغرب، تدرك حدة مأساة تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي التي تتحمل القدر الأكبر من المسؤولية عنها. ويذكر، في هذا السياق، المتحف الدولي للعبودية في ليفربول بالمملكة المتحدة والنصب التذكاري للقضاء على العبودية في نانط ومتحف شولشر في غوادلوب بفرنسا، إضافة إلى عدد من المتاحف في

الولايات المتحدة الأمريكية، وقد انكب مؤرخون كثيرون على دراسة هذا الموضوع، الذي جسدته في السنوات الثلاثين الماضية نصب تذكارية مختلفة، لا سيما على امتداد ساحل غرب أفريقيا، على غرار النصب التذكاري الموجود في جزيرة غوريه.

٨٥- وفي ذات الوقت، يبدو أنه لا يوجد في أفريقيا أي معلم يذكر بمصير الأسرى المستعبدين في إطار تجارة الرقيق داخل أفريقيا أو طريق العبيد العابر للصحراء أو الطريق الشرقي. وأدان بعض المؤرخين الأفارقة هذه القراءة للأحداث، حيث يبرّئ منطق الضحية العناصر الفاعلة المحلية ويغفل آليات الهيمنة والسلطة والاستغلال داخل المجتمعات الأفريقية[٤٠].

ياء- تذكر تاريخ الشعوب الأصلية

٨٦- تعد الشعوب الأصلية من بين الجماعات التي تشرك حكوماتها في إقامة نصب تذكارية لما حدث في الماضي من إبادة جماعية و/أو للاعتراف بتاريخها ومساهماتها في بناء المجتمعات.

٨٧- وقد اعتمدت بعض البلدان تدابير إيجابية. فقد أقيمت نصب تذكارية للاعتراف بمساهمات السلف، أو مساهمات أسلاف جزء من السكان الذين ذاقوا الأمرَّين، مثل ما حدث في سانت فنسنت وجزر غرينادين (A/HRC/23/34/Add.2، الفقرة ٢٩).

٨٨- وتجسِّد متاحف كثيرة، لا سيما متاحف التاريخ، ثقافة الشعوب الأصلية ومعاناتها الماضية ووجودها المستمر. وينطبق ذلك على متحف تي بابا تونغاريوا في نيوزيلندا، الذي يسعى أمناؤه بحرص إلى أن يكونوا ميسرين للتذكر وليس مجرد حفظة للقطع التذكارية، وهو ما يسهّل عمليات التذكر بسبل منها العروض الثقافية والطقوس الروحية. وينطوي هذا الأمر على تحدياته الخاصة، نظراً إلى أن المجتمعات ذاتها لا تكون كتلاً متجانسة أبداً. لذا يتعين تنويع المنابر والساحات كي تسمح بسماع أصوات التاريخ المتعددة.

٨٩- ويستمر النقاش حول الاعتراف عن طريق النصب التذكارية بمشاركة الجنود من الشعوب الأصلية في الحربين العالميتين، لا سيما في أمريكا الشمالية. وفي كندا، شُيد، نزولاً عند طلب الشعوب الأصلية، نصب تذكاري لقدماء المحاربين من السكان الأصليين الذين شاركوا في الحرب العالمية الأولى، ويحمل هذا النصب عناصر كثيرة من الثقافات الأصلية. بيد أن هذا الاعتراف أتى في مرحلة متأخرة من التاريخ، وفي مكان يختلف عن مكان النصب

(٤٠) Ibrahima Thioub, “Regard critique sur les lectures africaines de l’esclavage et de la traite atlantique”, in *L’esclavage et ses traites en Afrique, discours mémoriels et savoir interdits*, revue du Département d’histoire et de géographie de la Faculté des sciences et technologies de l’education et de la formation, Université Cheikh Anta Diop de Dakar, No. 8, 1er semestre 2009, p. 26.

الرئيسي المقام لسائر الجنود الكنديين. وتُنفذ في كندا كذلك مشاريع تذكارية تتعلق بتاريخ المدارس الداخلية للهنود.

كاف- دور العناصر الفاعلة الخارجية

٩٠- يمكن للعناصر الفاعلة الخارجية أن تؤدي دوراً مهماً في عملية التذكر. وفي أغلب الأحيان، تتدخل بعض الأطراف لتشجيع المبادرات التذكارية، بهدف إحداث تغييرات اجتماعية عن طريق استراتيجية تتعمد استخدام النصب التذكارية وتمويلها، خاصة عندما تفتقر الدولة المعنية إما إلى ما يلزم من الإرادة السياسية أو إلى القدرة المالية للقيام بذلك. وعلى سبيل المثال، مُول نصب سريبرينيتسا - بوتوكاري التذكاري من مصادر خاصة وأخرى حكومية، بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية. وفي الشرق الأوسط، يعتمد مؤسسو معرض أم الفحم للفنون، الذين يسعون إلى تحويل هذه الساحة إلى أول متحف فلسطيني في إسرائيل، بشكل جزئي على جهات مانحة في أوروبا والولايات المتحدة. وفي زيارة إلى بيرو في عام ٢٠٠٨، منحت المستشارة الألمانية أنغيلا ميركيل مليوني دولار لأحد المتاحف التذكارية هناك.

٩١- وغير استخدام تكنولوجيا المعلومات دور الجهات الفاعلة الخارجية في تشكيل المشهد التذكاري. وأدت الإنترنت إلى تدجين عمليات التذكر، وهو تطور يختزله مثال تذكر معسكرات الاعتقال السوفييتية (القولاق)[٤١].

٩٢- وتبين هذه الأمثلة انتشار المشاريع الخاصة المعنية بالتذكر. ودخل النظام السابق المتمثل في إشراف الدولة على إقامة النصب التذكارية في منافسة مع المبادرات المحلية والدولية غير الحكومية. وقد يفضي تدجين عمليات التذكر إلى نتائج مختلفة جداً تتراوح بين رؤية مستوردة للتاريخ، بل ربما رؤية مفروضة من قبل عناصر فاعلة خارجية قوية، وبين المبادرات التي تساعد بحق الفئات المهمشة في التعبير عن تاريخها.

لام- جمهور المبادرات التذكارية

٩٣- ظهرت أشكال جديدة للسياحة في أماكن المعاناة، ويزور عدد كبير من السياح على سبيل المثال معسكرات الاعتقال والإبادة في ألمانيا وبولندا، والأماكن المرتبطة ارتباطاً مباشراً بمجازر الخمير الحمر في كمبوديا، وجزيرة غوريه في السنغال، وجزيرة روبن في جنوب أفريقيا، ومتحف اللجنة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر في سويسرا، والمعلم الوطني لتذكر أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠١١ في الولايات المتحدة.

(٤١) انظر على سبيل المثال، gulagmuseum.org, gulaghistory.org and http://museum.gulagmemories.eu/en.

٩٤- وتثير زيارات هذه الأماكن الوجدانية والنصب التذكارية عدة أسئلة. من المقصود بها؟ الطلاب؟ أم الضحايا وأسرهم؟ أو المجتمع برمته؟ أم السياح؟ وعادة ما تستهدف هذه الأماكن أوسع نطاق ممكن من الجمهور، مع إعطاء الأولية لفئات معينة هي: الضحايا وأسرهم والجماعات المتأثرة بصورة مباشرة والشباب.

٩٥- وتتمثل المسألة الرئيسية في تبني النصب التذكاري و/أو المتحف من قبل الجماعات المعنية، وبخاصة جماعات المناطق التي يقع فيها النصب أو المتحف. وقد كانت لجنة جنوب أفريقيا لتقصي الحقائق والمصالحة محقة إذ أكدت أن الضحايا والمجتمع ليسوا مجرد جمهور متلق وإنما أيضاً عوامل نشطة في عملية التذكر، بقولها إن: "التعويضات الرمزية كالنصب والمتاحف مهمة، لكن حبذا لو تقترن بمساع لتحسين الحياة اليومية للضحايا ومجتمعاتهم. ويمكن الجمع بين الهدفين بسبل منها إشراك الشخصيات المعروفة من الضحايا في تصميم المعالم و/أو تشييدها ..."[٤٢].

٩٦- ولا تقل أهمية عملية صنع القرار عن النصب التذكاري ذاته. وتشكل عملية تشييد النصب التذكاري خطوة حاسمة في توليد شعور التبني لدى المجتمع حتى قبل إنجاز العمل فعلياً. ويقدم المتحف التذكاري في روساريو بالأرجنتين مثالاً إيجابياً على كيفية تغطية الفئات المختلفة مع الحفاظ على أهمية المتحف على مر الزمن[٤٣]. ويحتوي المتحف على مركز للمحفوظات ومكتبة تربط الموقع والأفراد بذكريات عمليات القمع المحلية وتوفر رؤية أعم لجرائم الدولة. ويقول المدير إن المتحف يتوخى "إيجاد وعي تاريخي"، وهو ما يسمح كذلك بتطور مواضيع المتحف نحو تناول شواغل معاصرة تتعلق باحترام حقوق الإنسان. وسيفتتح قريباً أيضاً المتحف الكندي لحقوق الإنسان في وينيبغ في مانيتوبا.

٩٧- وتمكين الضحايا أمر حاسم الأهمية. ويعني تمكين الضحايا تعزيز الاعتراف بهم لا كضحايا فحسب وإنما أيضاً كعناصر فاعلة كاملة في ردّ اعتبار الضحايا، ومساهمين مهمين في ما يضطلع به المجتمع من أعمال أكبر في سبيل التغلب على مآسي الماضي. وفي حالات كثيرة جداً، تؤخذ إفادات الضحايا ثم لا يتلقون بعدها أي معلومات عن القرارت المتخذة ويُتركون في وضعهم كضحايا بدلاً من تمكينهم عن طريق المشاركة النشطة في إقامة النصب التذكاري.

(٤٢) لجنة الحقيقة والمصالحة، جنوب أفريقيا، التقرير الختامي، المجلد ٦، الفرع ٢، الفقرة ٤، متاح على العنوان http://www.justice.gov.za/trc/report/index.htm.

(٤٣) Sophie Chapuis, “Mémorial: un objet culturel non identifié”, research paper presented at the University of Art and Design, Geneva, 2011.

خامساً- الاستنتاجات والتوصيات

٩٨- كثيراً ما يطالب ضحايا الوقائع المأساوية أو الانتهاكات الجسيمة أو الفادحة لحقوق الإنسان بالعدالة وبشكل من أشكال التذكر: وكلاهما ضروريان ومتكاملان، ولا يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر. غير أنه، وبينما نال الجانب القانوني للتعويضات اهتماماً كبيراً، فإن التذكر نادراً ما يُدرج ضمن الاستراتيجيات الأوسع لبناء الديمقراطية والاستراتيجيات الانتقالية لفترات ما بعد النزاع.

٩٩- وتعتمد دينامية التذكر دائماً على عمليات سياسية. إذ تتطور عملية تخليد ذكرى الأحداث الماضية في سياقات سياسية واجتماعية وثقافية معينة، وتؤثر فيها قوى سياسية مختلفة، إلى جانب ثقل مجموعات الضغط وتطور شواغل المجتمع ومصالح الجهات المعنية. ولا تلقى بعض النصب سوى التجاهل، بينما تتحول أخرى إلى أماكن تتبلور فيها العواطف والتوترات، وتُحذف نصب أخرى كدليل ملموس على بداية عهد جديد. والأسئلة الرئيسية التي ينبغي أن تُطرح وتُناقش في المجال العام كل مرة هي: ما هي الأهداف المحددة المنشودة من النصب التذكاري؟ ومن المقصود به؟ وما هي آثاره الاجتماعية والاقتصادية المحتملة؟ وما هي الأطراف المشاركة في إنشائه، بما في ذلك التصميم والتنفيذ والإدارة؟ وهل يتضمن روايات متعددة؟

١٠٠- ويتمثل أحد العناصر الأساسية لنجاح المشاريع التذكارية في التعاون بين السلطات والمواطنين والمجتمع المدني، ولا سيما ممثلي الجهات المتأثرة على نحو مباشر بوقائع الماضي. وتؤدي السلطات دوراً رئيسياً: فهي تتحمل المسؤولية عن إدارة الساحات العامة وهي قادرة على صيانة النصب والمتاحف، وعلى وضع استراتيجيات وطنية طويلة الأجل تشمل جميع أنحاء الإقليم، آخذة في اعتبارها طيفاً واسعاً من الروايات. وباستطاعة المجتمع المدني أن يحشد جماعات السكان ويضفي الشرعية الشعبية وينظم التظاهرات ويثير النقاشات العامة.

١٠١- غير أنه يصعب في غالب الأحيان تفعيل التكامل بين مختلف العناصر الفاعلة. وقد تميل السلطات إلى تحقيق مكاسب سياسية قصيرة الأجل ببناء نصب ذات تأثير جدلي محدود على المجتمع ككل، لكنها وسيلة "لطيّ الصفحة" – أو يؤمل أن تكون كذلك. وقد يختلف الضحايا والقائمون على المشاريع التذكارية من المجتمع المدني حول الأشخاص والأحداث موضوع العمل التذكاري. وينطوي ذلك على مخاطر متعددة لكن التآزر بين مختلف العناصر الفاعلة ضروري لإجراء نقاش عام بشأن تمثيل الماضي وما يتصل بذلك من قضايا الديمقراطية، وهو أساسي للمصالحة الفعلية في المدى الطويل. ويستدعي التذكر، بوصفه مساهمة في ضمان عدم التكرار، استرشاد الحاضر بالماضي وتيسير فهم القضايا المعاصرة المتعلقة بالديمقراطية وحقوق الإنسان والمساواة.

١٠٢- وتقوم الممارسات التذكارية المتعلقة بالجرائم واسعة النطاق على توازن معقد بين العواطف الشخصية الناشئة عن استحضار الماضي ورواية تاريخية بعيدة وقادرة على أن تحث على التفكر في المقاومة والعصيان المدني. وهذا التعايش بين البعد العاطفي والتحليل المتجرد ضروري مهما كانت صعوبته. فرواية الأحداث المأساوية تحتاج إلى شحنة عاطفية لتكون مؤثرة؛ وتخليد ذكرى الضحية يحتاج إلى التجرد ليراعي ضرورة منع تكرار العنف. ولتحقيق هذا التوازن، يجب على الممارسات التذكارية أن تتقبل البعد المعنوي وأن تسترشد في الآن ذاته وتهتدي بالبحوث والدراسات التاريخية الدقيقة.

١٠٣- ويوصي المقرر الخاص بأن تدعم الدول والجهات المعنية الأخرى ضحايا وأسر ضحايا الانتهاكات الجسيمة أو الفادحة لحقوق الإنسان أو الأحداث المأساوية في سعيهم إلى تخليد ذكرى الماضي. وينبغي أن يُفهم التذكر على أنه عمليات تتيح للأطراف المتأثرة المساحة اللازمة للتعبير عن رواياتها المختلفة بطرق ذات مغزى ثقافي. وتشمل هذه العمليات مساهمات متنوعة لا تتجسد بالضرورة بتشييد معالم مادية، بل يمكن أن تتخذ أيضاً شكل أنشطة وتعبيرات ثقافية عديدة.

١٠٤- وينبغي أن تُناقش أهداف النصب التذكارية وأن تُتخذ بشأنها قرارات على أساس فرادى الحالات. وينبغي أن تمتنع الدول وغيرها من الجهات المعنية عن استخدام العمليات التذكارية لدعم برامجها السياسية وأن تضمن مساهمة سياسات التذكر في أمور من بينها ما يلي:

(أ) التغلب على الإنكار الذي يغذي الكراهية والحقد والعنف؛

(ب) ضمان التعويض الرمزي والاعتراف العام للضحايا بطرق تلبي احتياجات كل الضحايا المقموعين في ماض قريب أو بعيد والمساهمة في تضميد جراحهم؛

(ج) وضع سياسات للمصالحة بين الفئات التي كانت متعادية أيام النزاع، عن طريق عملية اعتراف رسمي وعام بالجرائم المرتكبة؛

(د) اعتماد سياسة وقائية عن طريق العمل التربوي والتدخلات الثقافية الرامية إلى الحد من خطر تأجيج العنف بين الفئات التي كانت متعادية في زمن مضى؛

(هـ) إعادة تعريف الهوية الوطنية بسياسة تعددية تعترف بالفئات المختلفة وتقر بجرائم كل الأطراف؛

(و) تشجيع المشاركة المدنية والتفكير النقدي وحث النقاشات فيما يتعلق بتمثيل الماضي وبتحديات الإقصاء والعنف المعاصرة.

١٠٥- ويتعين على الدول والجهات المعنية الأخرى أن تحذر في هذا الصدد وضع التعاريف الجامدة تميز بين الضحايا والجناة، وأن تكفل توفير حيز كاف للتعبير عن الروايات والرؤى المتنوعة. لكن ينبغي ألا تنفذ وألا تدعم سياسات الإنكار التي تحول

دون بناء النصب التذكارية أو إقرار عمليات التذكر، وألا تنجز أو تدعم أو تمول أعمالاً يمكن أن تحرض على العنف.

١٠٦- ويتعين على الدول والجهات المعنية ذات الصلة الاضطلاع بما يلي:

(أ) تنفيذ توصيات لجان تقصي الحقائق والمصالحة فيما يتعلق بالنصب التذكارية وفقاً للمعايير الدولية، وتوفير الخبرة التقنية للسلطات الوطنية عند الحاجة، وإشراك الفئات المعنية في المناقشات؛

(ب) ضمان شفافية العمليات التذكارية وتشجيع مشاركة المجتمع المدني في جميع المراحل، بما فيها عملية صنع القرارات المفضية إلى إقامة النصب التذكارية. وينبغي أن تركز العمليات التذكارية على الضحايا وأن تُصمم لأجل تمكينهم؛

(ج) تشجيع التفكر النقدي في وقائع الماضي من خلال كفالة أن تستكمل العمليات التذكارية بتدابير تذكي الوعي التاريخي، وعن طريق دعم تنفيذ ونشر المشاريع البحثية المتميزة والتدخلات التي تشجع مشاركة الأفراد بصفة مباشرة وعبر المبادرات التعليمية؛

(د) احترام حق أمناء المتاحف والمعارض في حرية الرأي والتعبير والامتناع عن فرض هيمنة سياسية أو ضغوط مالية عليهم؛

(هـ) احترام الحق في حرية التعبير الفني والإبداع لدى التصدي لمسائل التذكر، والتعاون مع الفنانين. وينبغي أن تكفل الدول إتاحة الساحات العامة لمختلف الروايات المنقولة في العروض الفنية وأن تتيح فرصاً كثيرة لتفاعل تلك الروايات؛

(و) تشجيع تخليد ذكرى من رفضوا المشاركة في الانتهاكات الجسيمة والفادحة لحقوق الإنسان وقاوموا القمع وقدموا المساعدة غير عابئين بالفوارق الطائفية؛

(ز) مراعاة البعد الثقافي للعمليات التذكارية، بما في ذلك الحالات التي استهدف القمع فيها شعوباً أصلية؛

(ح) التصدي لضرورة تخليد ذكرى ضحايا العبودية، لا سيما في أماكن أسرهم وأماكن مقصدهم؛

(ط) تقييم تدخلات العناصر الفاعلة الخارجية تقييماً دقيقاً لتجنب فرض ذاكرة خارجية، وتشجيع التدخلات المخطط لها بدقة التي يمكن أن تساعد الفئات على التغلب على ضعفها، والاعتراف بأخطاء الماضي؛

(ي) وضع خرائط النصب التذكارية في البلد، واعتماد نهج قائم على التعاون مع المجتمع المدني، وإجراء تقييم نقدي لكيفية استحضار وقائع الماضي وأنظمته القمعية، وتعريف الجمهور بالأماكن الرمزية التي أقامتها الأنظمة المسؤولة عما حدث من تجاوزات

خطيرة لحقوق الإنسان، وإشراك الناس، لا سيما الشباب، في تكوين روايات جديدة للسلم؛

(ك) النظر بحصافة في المشهد الثقافي والرمزي الذي يجري تشييده، أو إعادة تشكيله في أعقاب النزاع، لضمان تعبيره عن تطلعات الأفراد ورؤاهم ومساهمته في إذكاء التفكير النقدي والوعي التاريخي والتفاهم بين الطوائف.

١٠٧- ويوصي المقرر الخاص بأن تعتمد الدولة تشريعات تحدد مبادئ توجيهية للعمليات التذكارية، وفقاً للمعايير الدولية، وأن تراعي الاستنتاجات والتوصيات الواردة أعلاه.

١٠٨- وينبغي أن تقدم الدول والجهات المعنية الأخرى المعلومات إلى الآليات المختصة، بمن فيها المقرر الخاص في مجال الحقوق الثقافية، والمقرر الخاص المعني بتعزيز الحقيقة والعدالة والجبر وضمانات عدم التكرار، والفريق العامل المعني بحالات الاختفاء القسري أو غير الطوعي، والمقرر الخاص المعني بحقوق الشعوب الأصلية، والمقرر الخاص المعني بأشكال الرق المعاصرة بما في ذلك أسبابها وعواقبها، وكذلك إلى هيئات المعاهدات، فيما يتعلق بالتحديات القائمة والإنجازات الناتجة عن الممارسات التذكارية.

١٠٩- ويوصي المقرر الخاص أيضاً بإعداد ملخص للممارسات التذكارية الجيدة يسلط فيه الضوء على الصعوبات الماثلة والنتائج المحرزة.

Annex

[English only]

List of participants in the expert meeting (Geneva, 7 and 8 October 2013)

Name	*Affiliation*
Mélanie Borès	Research Assistant, “PIMPA” project (politics of memory and art practices: the role of art in peace and reconstruction processes), Geneva University of Art and Design, Switzerland
Cécile Boss	Research Assistant, “PIMPA” project, Geneva University of Art and Design
Puawai Cairns	Curator Māori Contemporary Culture at the Museum of New Zealand Te Papa Tongarewa
Ereshnee Naidu	Program Director for Africa, Asia, the Middle East and North Africa, International Coalition of Sites of Conscience, United States of America
Pierre Hazan	Co-Director, “PIMPA” project, Geneva University of Art and Design
Victor Ochen	Director, African Youth Initiative Network, Uganda
Denis Pernet	Associate Researcher and curator, “PIMPA” project, Geneva University of Art and Design
Dominique Poulot	Director, École doctorale d’histoire de l’art, Université Paris 1 Panthéon-Sorbonne, France
Sylvie Ramel	Associate Researcher, “PIMPA” project, Geneva University of Art and Design
Fernando Sanchez Castillo	Artist, Spain.
Martin R. Schärer	Museologist, President of the Ethics Committee of the International Council of Museums, Switzerland
Yan Schubert	Associate Researcher, “PIMPA” project, Geneva University of Art and Design
Tomislav Sola	Professor, , Department of Information and Communication Sciences, Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Zagreb, Croatia
Milica Tomic	Artist, Serbia
Paul Williams	Senior Interpretive Planner, Ralph Appelbaum Associates, United States of America